ما بعد النصر: مرحلة جديدة في حركة التحرر الوطنية والقومية العربية

أديب ديمتري*

■ تصريحات الامير سعود الفيصل وزير الخارجية السعودي في مؤتمره الصحافي الاخير في جدة، والتي حذر فيها من خطر فقدان الهوية العربية، وعلاقات بعض الدول العربية مع اطراف غير عربية في اشارة الى ايران دون ان يسميها، ودعوته الى «العودة الى انتمائنا العربي» وعينه على التصنيفات السابقة (في المرحلة الناصرية) التي قسمت فيها الدول العربية الى رجعية وتقدمية، ودول جمود وتصد..

هذه التصريحات المفاجئة تكشف عن مدى الرعدة التي تسري في جسم النظام العربي التبعي، خاصة اقطابه الثلاثة، السعودية ومصر والاردن، بعد الانتصار المدوي الذي حققه حزب الله، على عدوان مخطط ومرسوم من سادتهم الامريكيين والاسرائيليين، وبعد انكشاف تواطئهم ومشاركتهم الكاملة التي مكنت للعدوان ان يمر. فهذه التصريحات جاءت بمثابة بيان رسمي ناطق عن الجبهة الثلاثية التي تقود نظام التبعية العربي من المحيط الى الخليج.. وهي هجمة استباقية، من قبيل تلك العزيزة على قلوب المحافظين الجدد في حروبهم، قبل ان تصعد من جديد حركة التحرير والثورة العربية، بعودة الروح واسترداد الكرامة، وهو الصعود الذي كانت قد بدأت معالمه بوضوح قبل الاحداث خاصة في مصر والسعودية في صورة المطالبات والتحركات من اجل التغيير والاصلاح وبالديموقراطية، والتصدي لحكم الطغيان والدكتاتورية.

والبيان السعودي لا يخرج عن ترديد ما صرحوا به من قبل على استحياء وتردد، عندما حذر ملك الاردن من الهلال الشيعي، ونطق مبارك بتصريحه الاحمق، والذي حاول ان يتنصل منه بعد ذلك، ان انتماء الشيعة ليس لاوطانهم بل لايران، وعندما صرح ثلاثتهم في بداية المعركة انها مغامرة غير محسوبة. وكانوا يتوقعون مثل سادتهم ان تنهى في ايام وبهزيمة محققة، ومبارك لا يزال لا يصدق. ففي تصريح له اخيرا لصحيفة «المساء» القاهرية قال «هذه الحرب لا كاسب فيها ولا خاسر» في حين صدر العدد الاخير من مجلة «الايكونومست» البريطانية واسعة الانتشار والنفوذ وعلى غلافها الى جوار الصورة «نصر الله يكسب الحرب» كما لم يرد على لسان مبارك ولو مرة وصف هذه الحرب بالعدوان، بل «الحملة العسكرية الاسرائيلية» او «الصراع الدائر الذي لا يحكمه عقل ولا منطق». كما انكشف نفس الذعر السعودي بمشاركة النظام المصري باجراء التعديلات الوزارية الاخيرة وبين المحافظين، ليأتي بنفس الرجل الذي رأس لجنة الانتخابات البرلمانية الاخيرة، والذي اشرف على تزويرها بالكامل وزيرا العدل، توطئة للتوريث المزور والمتفجل لاعادة ترتيب البيت.

ولا شك ان ذكرى الخمسينات والستينات، وصعود حركة التحرير الوطني والحركة القومية في مرحلتها الاولى الناصرية والبعثية والتقدمية لا زالت تؤرق الامير السعودي وتفزعه. حينها كانت الحرب الباردة في قمة اشتعالها، ولم يمنع هذا عبد الناصر من ان يضع يده في يد شوان لاي الصيني الشيوعي ونهرو الهندي وسوكارنو المسلم، ولم يفقد لذلك انتماءه العربي وكانت حركة عدم الانحياز التي قادت حركات الاستقلال والتحرر الوطني على امتداد افريقيا واسيا وامريكا اللاتينية. حينها انضمت السعودية الى القطب المقابل، فوستر دالاس وحلف بغداد والمخابرات المركزية الامريكية التي اطاحت بمصدق القائد الوطني. فكيف لا توصف الجهة الاولى بالتقدمية والاخرى بالرجعية العميلة؟!

وهو في اميته وجهله لا يستطيع ان يفرق بين الاستعمار والامبريالية بشرورها والتي لها محدداتها العلمية والاقتصادية والسياسية والفكرية وطموحاتها العدوانية، وبين طموحات الشعوب كل الشعوب ونوازعها بخيرها وشرها، ومن بينها ايران، وهي تسعى للخروج من التخلف والفقر وحتى التفوق والزعامة، اليست للمملكة السعودية الوصاية الاصولية السلفية والتي أفرزت الارهاب! ولخادم الحرمين ايضا طموحاته في زعامة العالم الاسلامي، ومن اجلها انشأ المؤتمر الاسلامي، كما لمصر بثقلها السكاني وتاريخها الحضاري، طموحاتها في زعامة العالم العربي. وكيف ينكر على الشعوب الفارسية بعد ان دخلت الاسلام، ايا كان مذهبها دورها التاريخي الحضاري في اطار الحضارة الاسلامية الزاهرة من ابن سينا الى عمر الخيام، وكيف يرفض العرب، في وضعهم المزري الراهن، وازمتهم الطاحنة يد ايران الممدودة حتى بنظامها الخميني بخيره وشره، وهي تنتمي للمنطقة وتخوض نفس معركتها ضد الامبريالية او الاستكبار، وفي محاولات الافلات من ربقة التخلف والفقر والتبعية العالمثالثية؟

ان موقف الجهابذة الثلاثة هو ترديد وصدى لسادتهم في محاولاتهم لتفتيت العالم العربي والاسلامي وعزله، من شيعي وسني، عرب واكراد وفرس.. الخ، ودفعه في طريق الصراعات.

اما الانتصار الذي افزع النظم العربية الرجعية قاطبة كما افزع الامبريالية العالمية قديمها وجديدها، فهو رغم محدوديته، وكما لم يزعم اصحابه انه حاسم او نهائي او استراتيجي، الا ان معانيه ودلالاته ورموزه كانت هي الاخطر، حتى ليكاد يرقى بها الى مستوى الانتصارات التاريخية والاستراتيجية، حتى جاز وصفه على لسان الامير المذكور بالزلزال. فقدحمل معه موجه عالية من عودة الثقة وبعث الروح شملت الشعوب العربية جميعا، ومن حيث اراد العدوان المبيت والحرب بجرائمها البشعة القضاء على اي امل في المقاومة وعلى اي صعيد، وعلى قتل معناها نفسه، فقد اكد الصمود المذهل والبسالة منقطعة النظير على جدواها وامكانياتها غير المحدودة، بما يؤذن بنقلة نوعية وصعود جديد في حركة التحرر الوطني والقومي العربية والاسلامية.

وعلى المستوى الدولي لا يقل الاثر والتداعيات والنتائج، فقد عرت اسرائيل وكشفت حقيقتها، كما اسقطت صورتها وصورة جيشها الذي لا يقهر، وخرجت منها اضعف. فقد قبلت وقف القتال وسعت اليه، كما قبلت بما لم تكن لتقبل به من قبل دون تحقيق اي من الاهداف التي اعلنتها.

ولكن الاهم والاخطر انها كشفت محدودية القوة العسكرية امريكية او اسرائيلية او غيرها، ومحدودية قوة سلاح الطيران، وقوة النيران الزائدة، والتي استخدمت بكثافة في الحرب على يوغوسلافيا بوجه خاص، وجرى على غرارها ما تلاها في افغانستان والعراق ولبنان.

عبر عن هذه الحقيقة باحث كبير في مركز السياسات التطبيقية في جامعة ميونيخ في مقال في صحيفة «هيرالد تربيون» 26 ـ 2006/8/27 بعنوان «استخدام القوة» «القوة العسكرية الغربية في ازمة»... سجل فيه الفشل الاسرائيلي في مواجهة حزب الله، وغرق القوات الامريكية والبريطانية في العراق، كما الناتو في افغانستان، وتساءل: لماذا اعظم جيوش العالم تجد نفسها في ورطة امام خصومها، الذين لم تكن الجيوش الكولونيالية في القرن التاسع عشر تجد اي صعوبة في هزيمتهم؟

وجوابه: الطريقة العسكرية الامريكية هي المسؤولة. فالامريكيون بنوا قوتهم العسكرية في مواجهة روسيا والصين، ونظرتهم العسكرية قامت على قوة النيران وتفوق التكنولوجيا، والابتعاد ما امكن بقواتها عن العدو، لتحاشي المخاطرة وحسن المناورة، ولكن اكثر القوى التي يواجهها العسكريون القريبون اليوم لا يمكن هزيمتها الا بالاشتباك عن قرب، بما يعني ان الغرب يواجه اليوم حروبا شعبية وحروب عصابات دون ان يسميها، حيث الالتحام المباشر والبسالة تغلب قوة النيران البعيدة، كما الحرص على السلامة وتجنب المخاطرة! وبالعودة الى القضية الام، فلسطين، فلم يكن القرار المسبق بالحرب والتدمير بين امريكا واسرائيل قاصرا على لبنان وحده وقبل اسر الجنديين، للقضاء على حزب الله وسلاحه وصولا الى ايران ومفاعلها الذري، بما كشف عنه سيمور هيرش في مقاله الرائع في «نيويوركر»، بل كان هذا التدبير المسبق والقرار المشترك بالهجوم ايضا بالنسبة لغزة قبل اسر الجندي الاسرائيلي. فالحربان تأتيان في اطار التصفية النهائية للقضية الفلسطينية، بفرض الحل الاسرائيلي من جانب واحد، وضرب المفاعل الايراني لفتح الطريق للشرق الاوسط الجديد.

كشفت عن هذه التدبيرات المسبقة تانيا راينهارت استاذة اللغويات في جامعة تل ابيب، وهي من افضل كتاب اليسار الاسرائيلي المعادي للصهيونية، وذلك في مقال نشرته مجلة «بوليتيس» الفرنسية اليسارية (7/27 ـ 8/30) ولاهميته سنعرض له تفصيليا.

في رأي الكاتبة ان «ما فجر الحرب الجديدة في لبنان هو العدوان على الفلسطينيين في غزة، فالعملية التي قام بها حزب الله بخطف الجنديين هناك ما يدل على انها كانت لخفض الضغط على الفلسطينيين، بفتح جبهة جديدة، ويعد هذا اول عمل للتضامن العسكري مع الفلسطينيين في العالم العربي، والهجوم على غزة ليس نتيجة اسر الجندي الاسرائيلي، بل اعد له منذ زمن طويل، وكان الجيش يضغط دائما في هذا الاتجاه.

والهدف كان تدمير حماس وحكومتها وبنيتها التحتية، وبدأ الجيش في التصعيد في 8 حزيران (يونيو) باغتيال ابو سمهدانة، وهو شخصية هامة بالنسبة لحماس، فضلا عن تكثيف قصف المدنيين، واحكام الحصار على غزة. وكان الاذن الحكومي بالعدوان جاهزا في 12 حزيران (يونيو)، ولكنه تأخر بسبب المضاعفات التي ترتبت على موت المدنيين على شاطىء غزة اثر القصف، وجاء اسر الجندي ليزيل كل العقبات، فالعملية التي بدأت في 28 تموز (يوليو) وتدمير كل البنية التحتية في غزة، والقاء القبض الجماعي على قادة حماس في الضفة الغربية، كانت مبيتة ايضا قبلها باسبوع.

وما يقدمه الاسرائيليون من تبريرات ابعد ما يكون عن الحقيقة، اما الواقع فهو ما تقرر في خطة فك الارتباط الشارونية، فلم يكن يقصد منها سوى نقل السيطرة على القطاع من الداخل الى الخارج، وهي السيطرة التي ظل يمارسها الجيش منذ الجلاء باغلاق كافة المنافذ، على الارض، ومن الجو والبحر. وهذا الوضع اعفى اسرائيل من اي مسؤولية على عاتق المحتلين بمقتضى ميثاق جنيف الرابع والذي يقضي بحماية مليون ونصف المليون من قاطني القطاع. فاسرائيل ليست في حاجة الى قطيعة منها لارض، اكثر ازدحاما بالسكان من كل العالم، ومحرومة من اي مورد طبيعي، والمشكلة اننا لا يمكن ان نترك غزة حرة اذا اردنا الحفاظ على الضفة الغربية. فاذا اعطيناهم الحرية فستتحول غزة مركزا لمعركتهم لتحرير كل فلسطين، ومعبرا الى العالم العربي. فالسيطرة على الضفة تتطلب السيطرة المحكمة على غزة. والشكل الجديد من الاحتلال يقتضي تحويل غزة الى سجن بسماء مفتوحة ومقطوع عن العالم.

ولكن في هذه الحالة فان الشعب المحاصر دونما امل او بديل سياسي، سيبحث عن اي وسيلة لمواجهة قاهريه. وهكذا تحول اغلاق غزة الى مصدر للازعاج يقلق راحة الاسرائيليين المقيمين في الجوار. فهم يطلقون الصواريخ يدوية الصنع، صواريخ القسام على المدن المجاورة وهذه الصواريخ وان افتقدت الدقة، وقلما تصيب اهدافها، الا انها تسبب اضرارا سيكولوجية فضلا عن الاضرار المادية الطفيفة، فهي تزعج وتنغص حياة المدن المجاورة. اما بالنسبة للفلسطينيين، فان صواريخ القسام تشكل الرد على الحرب الاسرائيلية. طالب من غزة في مقابلة مع صحيفة «نيويورك تايمز» يقول «لماذا يتعين على الفلسطينيين ان يصبحوا وحدهم المعرضين للموت؟ بهذه الصواريخ الاسرائيليون ايضا سيعانون من الخوف، سنعيش معا في سلام او معا في خوف».

ومع ذلك فأقوى جيش في الشرق الاوسط، لا يملك ردا عسكريا على هذه الصواريخ، الحل ممكن وواضح وطرحه رئيس الوزراء اسماعيل هنية، وهو وقف متبادل لاطلاق النار من الجانبين. وحماس من جانبها اثبتت انها مستعدة لذلك، فخلال سبعة عشر شهرا التزمت بوقف اطلاق النار المعلن من جانبها، كما توقفت عن اي عمل مسلح، من اجل حل سياسي، ولم تعاود حماس اطلاق الصواريخ الا بعد الاستفزازات الشديدة.

اما من وجهة نظر الاسرائيليين فان نتيجة الانتخابات الفلسطينية في كانون الثاني (يناير) 2006 جاءت بكارثة، لانه لاول مرة وجدت قيادة تمثل مصالح الفلسطينيين ولا تقدم تنازلات مجانية او تعمل وتتحرك وفق متطلبات اسرائيل.

والشيء الذي لا يقبل به الاسرائيليون، ولا يتصورون مواجهته هو الانتهاء الحقيقي للاحتلال سواء في الداخل او من الخارج.

والخيار الوحيد الذي يراه الجيش في هذه الحالة هو كسر ارادة الفلسطينيين وقهرهم بالقوة، فلابد من تخويفهم وارهابهم وقصفهم لشهور طوال، حتى يفهموا ان الثورة لا جدوى منها وان يتقبلوا السجن مدى الحياة، ويبقى لهم امل وحيد في البقاء على قيد الحياة، القبول بما تفرضه اسرائيل.

فلا انتخابات ولا مؤسسات ولا بوليس، كله ينبغي ان يدمر، فغزة يتعين ان يحكمها عملاء وسجانهم منهم على ابواب سجنهم الكبير.

ومنذ 2000 مع الانتفاضة والجيش يدعو لعملية في غزة من قبيل تلك التي اجريت في جنين، وكان ذلك قبل الانسحاب، حينها حشد الجيش قواه على الحدود استعدادا لهجوم ساحق على القطاع، ولكن امريكا اعترضت، وجاءت اللحظة مع وصول الاسلاميين الى الحكم، فأعطت امريكا الضوء الاخضر بشرط الا تثير العملية ردود فعل عالمية بالهجمات المفرطة على المدنيين، ولم يعد الجيش شاغله صورته في اعين الرأي العام العالمي، ولكن ظل هاجسه ان تصطدم جهوده العسكرية بتقارير حقوق الانسان، والازمة التي ستنشأ عنها، ولذلك حرص الجيش على ترك بعض المنافذ، لوصول ما يقيم الأود لمواصلة الحياة حتى يتمكن من مواصلة قتلهم».

ولا زالت «امطار الصيف» تهطل منذ اسر الجندي جلعاد شاليط، وضحاياها حتى يومنا تجاوزوا المئتين واحيانا تجاوزوا العشرات يوميا، وشاع اخيرا ان اسرائيل ستقذف بهم الى مصر فهي الاقدر على قمعهم، ومصر كامب ديفيد حريصة على الدوام بكل ما يرضي اسرائيل والامريكيين! وكم هي في حاجة الى اسرائيل وزملاؤها ايضا معها في نفس الحاجة.. حلف بغداد الجديد.

في كلا الحربين على غزة ولبنان، تجاوز القتل والدمار كل ما عرف من جرائم الحرب والجرائم ضد الانسانية والهدف النهائي واضح، تصفية القضية نهائيا وتطبيق الحل الذي اختارته اسرائيل، وبالنسبة لبوش تحقيق حلمه في شرق اوسط جديد وضرب ايران في الطريق.

ولكن في كلا الحربين، كشف الهدف القريب والمباشر، عما سيكون عليه الحال في المستقبل فاسرائيل ستتدخل ولو لزم الامر بالقوة في داخل اي بلد عربي لازاحة حكم او تغييره، حتى الشرعي المستمد من صناديق الاقتراع، اذا تعارض مع هواها ومصالحها وتفرض من تريد، فاستهدفت حماس في فلسطين عندما فشل الحصار الخانق، ولم تقو القوى «المعتدلة» المراهنة على السلام الوهمي واوسلو. وفي لبنان تكفلت بتنفيذ القرار 1559 بتجريد حزب الله من السلاح، عندما عجزت القوى التي راهنت على امريكا والغرب عن تنفيذ القرار، فاسرائيل اصبحت تعطي لنفسها الحق في التدخل في صميم السيادة الوطنية، والارادة، كما تهدد صميم الامن القومي، بما يؤكد من جديد مركزية القضية الفلسطينية واستحالة الفصل بين كفاح الشعب الفلسطيني من اجل حقوقه، واسترداد الشعوب العربية قاطبة لارادتها الوطنية وطموحاتها في اي اصلاح ديمقراطي اقتصادي او سياسي او تنموي. وفي كلمة اصبحت حرية الشعوب العربية رهينة بتحرير فلسطين والعكس صحيح. وفي ضوء هذه الحقيقة للمرء ان يعجب كيف يتحدر الوعي بالبعض المحسوب على الوطنيين في لبنان الى اعتبار مزارع شبعا هي حدود النزاع والصراع مع اسرائيل، وتغمض العينين عن اطنان اطنان الوثائق التاريخية والدراسات الموثقة والكتب التي تثبت ان لبنان وسورية فضلا عن سيناء تقع في صميم المشروع الصهيوني الاصلي منذ هرتزل، والذي يجري تنفيذه على مراحل «من النيل الى الفرات» وهو ليس مجازا بل شعار للتنفيذ، فكيف يتصور عاقل في لبنان او اللبنانيون ان حريتهم واستقلالهم الكامل يمكن ان يتحقق بادارة الظهر واعطاء الامان الى هذا الطامع في مائهم وارضهم وسمائهم ودورهم التاريخي والراهن والقابع على حدودهم؟!

تصفية القاعدة الكولونيالية الاستعمارية في اسرائيل هو شرط انتصار النهوض الجديد في حركة التحرر الوطني والقومية العربية كما كان سقوط حلف بغداد علامة تحرير واستقلال كل الاقطار العربية في المرحلة السابقة.

فالتعايش مستحيل واكرر مستحيل، مع دولة يهودية عرقية عنصرية، جوهر فلسفتها ووجودها وممارساتها فاشي، وهذه الاستحالة مستفادة من حروب ست هي في حقيقتها حرب واحدة متصلة لن تنتهي. ومستفادة ايضا من الخبرة الاقرب في الجزائر والابارتيد في جنوب افريقيا، ومن دروس الحرب العالمية الثانية، وكل محاولات السلام الفاشلة مع الدول الفاشية والنازية حينذاك. فلا بد من قيام الدولة الديمقراطية للشعبين الفلسطيني والاسرائيلي كحل نهائي كفيل باحلال السلام الدائم. وهذا ليس من قبيل الخيارات والتمني في ظروف العالم الراهنة بل هو ممكن، ولكن كثافة الظلام والاظلام في المنطقة والعالم تجعله كذلك.

فاذا كان اسقاط كامب ديفيد ومعاهدة السلام الوهمية، والنظم الديكتاتورية من المحيط الى الخليج، وفي المقدمة منها النظامان المصري والسعودي الآيلان للسقوط، وكنس طغاتها حتى لو هربوا في ثوب امرأة، هو المهمة العاجلة والضرورية التي تقع على عاتق حركة التحرير العربية في المرحلة الراهنة، فهذا اذا تحقق سيقيم حصارا خانقا حول هذا الكيان الشاذ كفيل بانهائه سلميا. فهي ليست دعوة للحرب، فاسرائيل وحدها هي التي تريدها. كما انه لا يلغي او يصادر في شيء على الحلول المرحلية التفاوضية، لانها ستأتي في الطريق. وفي مقدمتها اقامة الدولة الفلسطينية المستقلة على كامل الاراضي التي احتلت في 1967، وعلى اساس التمسك الحازم بالثوابت الفلسطينية وجوهرها: حق العودة والقدس، وقرارات الشرعية الدولية.

لقد قدم حسن نصر الله نموذجا فذا للمقاومة او الجهادية العقلانية، الاصالة مع التحديث الديمقراطي، والذي اشعل الثورة العرابية وثورة 19 وكل ثورات الشام والعراق خلال القرنين التاسع عشر والعشرين، وهما قدما التقدم الراهن لا بديل.

* كاتب من مصر يقيم في باريس

ردا على مضاوي الرشيد: مناقب السياسة السعودية في الشأن الفلسطيني 1970 ـ 2006

د. ثامر مرزوق السعيد*

■ كنت قد وعدت قراء صحيفة «القدس العربي» في مقالي السابق «عفوا د. مضاوي الرشيد» ان اسرد دور المملكة العربية السعودية في دعم القضية الفلسطينية بشكل علمي وتاريخي دون ان تحركني اى دوافع او مرارات قبلية او عشائرية وسأبدأ المرحلة الثانية في الفترة من عام 1970 وحتى عام ,2006 لم تأل المملكة العربية السعودية جهدا في توظيف ثقلها السياسي والاقتصادي عربيا ودوليا لدعم القضية الفلسطينية ففي مؤتمر القمة الذي عقد بالرباط عاصمة المملكة المغربية في عام 1974، رصدت المملكة العربية السعودية مبلغ 2350 مليون دولار لدعم دول المواجهة. ومن اهم انجازات المملكة العربية السعودية في تلك الفترة اشتراكها وقيادتها لمشروع فرض الحظر النفطي على الدول المساندة لاسرائيل سياسيا وعسكريا، ففي تلك الفترة كانت المملكة مسؤولة عن بلورة موقف موحد وصارم في اقناع اعضاء مختلفة في منظمة الدول المصدرة للنفط (اوبك) بخفض انتاج للنفط بمقدار 5 % على ان تزداد هذه النسبة بمقدار 5 % في كل شهر، ولم تكتف المملكة العربية السعودية بل قررت في 18 تشرين الاول (اكتوبر) 1973 ان تخفض انتاجها بمقدار 10 % ، ثم اسهمت بشكل كامل في قرار حظر تصدير النفط بشكل كامل فى 30 تشرين الاول (اكتوبر) 1973.

وقد كان لهذه الخطوة الجريئة التي شاركت فيها المملكة بثقلها السياسي وعلاقاتها الثنائية مع الدول الاعضاء في منظمة الدول المصدرة للنفط تاثيرات بالغة الاهمية ليس على مستوى توظيف الموارد العربية لخدمة القضايا العادلة للامة العربية بل اثبتت للعالم بان العرب لديهم الاصرار والعزيمة في التصدي لقضاياهم حتى يتم استرداد حقوقهم المشروعة.

حافظت المملكة العربية السعودية على مواقفها المبدئية طوال هذه الفترة حيث اقترحت اثناء المؤتمر الفلسطيني الاول والذي عقد في القدس عام 1964 بتشكيل كيان موحد فلسطيني ودعمت الثورة الفلسطينية بقيادة منظمة فتح عام 1965 واسست لها مكتبا في الرياض وخلال كل المؤتمرات العربية المتعاقبة منذ عام 1964 ايدت المملكة العربية السعودية انشاء الكيان الفلسطيني والاعتراف به عربيا. وكان للمملكة العربية السعودية دور واضح في اقناع الدول الاسلامية في مؤتمرهم في 27 تشرين الثاني (نوفمبر) 1973 بأهلية منظمة التحرير الفلسطينية كممثل شرعي ووحيد للشعب الفلسطيني. والتزمت المملكة العربية السعودية بمواقفها المبدئية في هيئة الامم المتحدة وقامت مع غيرها من الدول العربية في اقناع الدول الصديقة والمحبة للسلام للاعتراف بمنظمة التحرير الفلسطينية لتمثل الشعب الفلسطيني للمطالبة بحقوقه المغتصبة. وبفعل هذه الجهود الجبارة التي بذلت في ذلك الحين اعترفت الجمعية العامة للامم المتحدة بمنظمة التحرير الفلسطينية كممثل وحيد للشعب الفلسطيني.

عندما تسلم الملك خالد بن عبد العزيز رحمه الله قيادة المملكة العربية السعودية اثر وفاة الملك فيصل بن عبد العزيز رحمه الله، واصلت المملكة العربية السعودية نهجها السابق والمعلن في دعم القضية الفلسطينية ودول المواجهة العربية بل زادت دعمها المالي من 2350 مليون دولار في عام 1974 الى 3360 مليون دولار بحلول عام 1978 بخلاف الدعم المالي من الشعب السعودي والفلسطينيين المقيمين على ارض المملكة العربية السعودية. وعندما ضمت اسرائيل القدس الشريف، دعا الملك خالد رحمه الله الى عقد مؤتمر اسلامى يعقد في مكة المكرمة لمناقشة هذا التطور الخطير واتخاذ موقف اسلامى موحد تجاه هذا التعدي وعقد المؤتمر في كانون الثاني (يناير) 1981 وصدر عنه بلاغ مكة المكرمة الشهير حيث اعلن الزعماء المسلمون حق الدول العربية والاسلامية ومنظمة التحرير الفلسطينية في المقاومة بكل الوسائل المكنة من سياسية وعسكرية من اجل تحرير الاراضى المحتلة، ومن داخل المؤتمر وجه الملك خالد رحمه الله بوصفه رئيسا للمؤتمر رسالة للرئيس الامريكى في ذلك الحين رونالد ريغان يحضه على دور الولايات المتحدة الامريكية تجاه السلام العادل الذي تتوق له شعوب المنطقة واوضح له دور الولايات المتحدة لتهيئة المناخ المناسب للوصول الى سلام شامل وعادل في هذه المنطقة يكون اساسه ارجاع الحقوق المغتصبة الى اهلها.

في تشرين الثاني (نوفمبر) 1981 تقدم الامير فهد بن عبد العزيز رحمه الله ولي العهد في ذلك الوقت بمشروع سلام اطلق عليه المشروع السعودي للسلام في الشرق الاوسط وقد ادلى الامير فهد رحمه الله بحديث بتاريخ 1981/11/3 مبينا ان مبادرة السلام السعودية ليست مشروعا شخصيا ولكنها اعلان للمبادىء الاساسية للسلام كما تفهمها وتؤمن بها المملكة العربية السعودية وبتوجيهات من جلالة الملك خالد. وذكر رحمه الله دواعي المبادرة السعودية في النقاط التالية: ان اسرائيل بقيت تتحكم في ادارة الصراع العربي ـ الاسرائيلى سياسيا واعلاميا بعد التحكم العسكري على الرغم من النجاح الهائل الذي حققته حركة المقاومة الفلسطينية، واتفاقية كامب ديفيد لم تجد قبولا عربيا وان هناك تهديدا مستمرا لسورية من قبل اسرائيل، وان هناك ايضا حالة توتر وغليان بسبب اقدام اسرائيل على ضرب المفاعل النووي العراقي، واسرائيل تتبنى تصعيدا عسكريا على لبنان وان هناك ضرورة لاحتوائه، نتائج الانتخابات الاسرائيلية التي جرت في اسرائيل في العام نفسه وفوز مناحيم بيغن رئيسا للائتلاف الاسرائيلى الحاكم باغلبية صوت واحد وما يترتب على ذلك من التعصب الاسرائيلى، طرح اطار بديل لكامب ديفيد حتى لا يكون الرفض العربي رفضا لمجرد الرفض وحتى لا تترك الساحة لاسرائيل تصول فيها وتجول وتدعي ان العرب رفضوا كامب ديفيد لانهم لا يريدون السلام. كل تلك الاسباب مجتمعة ادت لصدور المشروع السعودي للسلام في ذلك الوقت.

القى الامير سعود الفيصل وزير الخارجية كلمة امام الجلسة الثانية لمؤتمر وزراء الخارجية العرب التحضيري لمؤتمر القمة الثاني عشر بمدينة فاس بالمملكة المغربية في 1981/11/22 واوضح الامير سعود الفيصل وجهة النظر السعودية في المبادرة السعودية للسلام في الشرق الاوسط في الآتي: ان العرب مطالبون بمرحلة جديدة في العمل العربي المشترك يتجاوز كل الخلافات ويسمو فوق الاجتهادات ويضمن شمول الاتصال بكل قوى العالم واستمرار التاثير الايجابي فوق كل الساحات لتحقيق المطالب المشروعة لامتنا في مواجهة التوسع الاسرائيلى. ونبه الامير سعود الفيصل من خطورة المزالق التي يمكن ان تعيق العمل الفلسطيني الفعال اذا ما تمسك البعض بالاطر الغامضة التي لا تعالج القضية بوضوح، بل توفر لاسرائيل غطاء اعلاميا وسياسيا لا تستحقه. واوضح الامير سعود الفيصل «بان الواجب هو العمل الجاد المنطقي الموجه الى اهداف ومبادىء نتفق على تحقيقها وتوقيت مراحلها، فالاجماع على المبادىء لا يكفى وحده، وذلك لاننا لسنا مطالبين بالوفاء لهذه المبادىء فحسب بل نحن مسؤولون عن توفير السبل الموضوعية للوصول الى النتائج المطلوبة. ومن ثم يصبح من المهم اختيار المراحل حسب اولوياتها، وتحديد انسب الاوقات لتحقيقها. فالمبادرة السعودية ترتكز على قرارات الامم المتحدة الصادرة في حق الشعب الفلسطيني والى القرارات الخاصة بانسحاب اسرائيل من جميع الاراضى العربية التي احتلت من قبل اسرائيل عام 1967، مثل سحب كل القوات الاسرائيلية من الاراضى التي احتلت في عام 1967، تحقيق تسوية عادلة لمشكلة اللاجئين بالاضافة لحق جميع شعوب المنطقة في العيش في سلام. وكانت مبادرة المملكة العربية السعودية في تشرين الثاني (نوفمبر) 1981 تتضمن عناصر ايجابية افضل مما ورد في البيان المشترك السوفييتي الامريكي الصادر بعد اجتماع رونالد ريغان وبريجنيف حيث صيغت اولويات المبادرة السعودية بشكل دقيق كما وضعت بندا مما كان يعني في ذلك الوقت ان الاعتراف بالدولة الفلسطينية له الاولوية وهو بالتاكيد كان يمثل الحد الاقصى لما يمكن المطالبة به في تلك المرحلة.

لقد طرحت المبادرة السعودية في تشرين الثاني (نوفمبر) من عام 1981 في ظل ظرف زمني مناسب بحيث كان للدول العربية المؤثرة في الساحة الدولية دور مؤثر وقد اشاد الامير سعود الفيصل بهذا الدور ولكنه نبه الى صعوبة استمرار او التنبؤ بالفترة الزمنية لهذا التاثير العربي على الساحة الدولية فى حالة عثرات تلجمه وتحد من تواصله. وقد كان استقراء الامير سعود الفيصل صحيحا، وما حدث بعد ذلك من اجتياح اسرائيلى للبنان في عام 1982، بالاضافة لاحتلال صدام حسين لدولة الكويت فى آب (اغسطس) 1990، ليصيب التاثير العربي والتضامن العربي في مقتل بل كان من نتائج الاحتلال الغادر للكويت ان فقدت شعارات التضامن العربى والوحدة العربية بريقها وقيمتها وخاصة عندما اعتدت دولة عربية على دولة عربية اخرى بالقوة العسكرية وقتلت القوات الصدامية الابرياء ونهبت مقدرات دولة عربية ذات سيادة.

في اذار (مارس) 2002 خاطب الامير عبد الله بن عبد العزيز، ولي العهد ونائب رئيس الوزراء، رئيس الحرس الوطني في ذلك الوقت الشعوب العربية من خلال مؤتمر القمة العربي المنعقد في بيروت حيث سرد نضال اشقائه الفلسطينيين الذي يدعمه كل العرب والمسلمين وذكر بان الشعب الفلسطيني يسعى لنيل حقوقه ويستحق العيش في سلام وعلى حكومة اسرائيل ان تعي ذلك وتدركه وتتلافاه بنهجها الطريق الصحيح وهو السلام. وان العملية السلمية لم تكن ولن تكون التزاما غير مشروط يفرضه طرف على الآخر وان السلام اتفاق حر بين طرفين متساويين ولا يمكن العيش على القمع او القهر. ولقد قامت المبادرة السعودية للسلام على اساس واضح لا لبس فيه وهو الارض مقابل السلام وهذا هو الاساس الذي قبله المجتمع الدولي باسره وجسده قرارا مجلس الامن 242 و338 كما تبناه مؤتمر مدريد عام 1991 واكدته قرارات الاتحاد الاوروبي واكده قرار مجلس الامن رقم 1397. ونبه الأمير عبدالله بن عبدالعزيز بان تجربة العنف والاقتتال في هذه المنطقة عبر اكثر من خمسين عاما لم تنتج سوى المزيد من الدمار وان المجتمع الاسرائيلي لا يزال ابعد عن الامن والسلام. عرضت المبادرة السعودية على مؤتمر القمة في بيروت وتبنتها الدول العربية واصبحت مبادرة السلام العربية وتتلخص بنودها في الاتي:

الانسحاب الكامل من الاراضى المحتلة بما في ذلك الجولان السوري وحتى خط الرابع من حزيران (يونيو) والاراضي التي ما زالت محتلة في جنوب لبنان، التوصل الى حل عادل وعملي لمشكلة اللاجئين الفلسطينيين يتفق عليه وفقا لقرار الجمعية العامة للامم المتحدة رقم 1994. قبول قيام دولة فلسطينية مستقلة ذات سيادة على الاراضي الفلسطينية المحتلة منذ الرابع من حزيران (يونيو) 1967 وقطاع غزة وتكون عاصمتها القدس الشرقية. ووقتها تعتبر الدول العربية النزاع العربي الاسرائيلى منتهيا والدخول في اتفاقية سلام شامل بينها وبين اسرائيل مع تحقيق الامن لجميع دول المنطقة. انشاء علاقات طبيعية مع اسرائيل في اطار هذا السلام الشامل.

واخيرا، دعونا نحن الاكاديميين الا نستشهد على وقائع التاريخ في ظل حالة اليأس التي تسود بعضنا اليوم فالسياسة كانت بالامس ولا زالت الى اليوم هي فن الممكن وليست نسج المستحيل. والا يكون استقصاؤنا في شان المواقف السياسية السابقة متجاهلة ما تتسم به حركة التاريخ والسياسة الدولية على مر العصور من صدام وصراع. هذا النقد العدمي الذي تكتبه د. مضاوي الرشيد وغيرها من الانتلجنسيا العربية في الغرب غالبا ما يلحق اضرارا كبيرة بمفهوم البحث الاكاديمي والنقد الهادف بكل اشكاله لانه يبدأ بانتاج الماضي في قالب عشائري وتوزيع اللوم على الآخرين بعرض حقائق التاريخ بصورة مشوشة وفي غاية القتامة.

*كاتب من السعودية

المراجع

1 ـ هاليداى، فرد السياسة السوفياتية في قوس الازمة، بيروت: مؤسسة الابحاث العربية، 1982.
2 ـ الاشعل، عبدالله حسن، «الاصول التاريخية للموقف السعودي من الصراع العربي الاسرائيلي، مرحلة الملك عبدالعزيز، 1915 ـ 1938» الدارة امين سعيد، تاريخ الدولة السعودية، بيروت: مطبعة كرم، صفحة 331 ـ 336.
3 ـ وثائق جامعة الدول العربية، الامانة العامة، ملف مؤتمر القمة العربي الثانية عشرة والمنعقد بفاس 1981، نوفمبر، القاهرة: جامعة الدول العربية.
4 ـ جامعة الدول العربية، مركز دارسات الوحدة العربية، يوميات ووثائق الوحدة العربية 1988، القاهرة: مركز دراسات الوحدة العربية.
5 ـ ابو علية، عبدالفتاح حسن ورفيق شاكر النتشه، المملكة العربية السعودية وقضية فلسطين، مكة المكرمة: مؤسسة هديل، 1984.
6 ـ الحسن، خالد، السلام في الشرق الاوسط وجهة نظر فلسطينية: اوراق سياسية، عمان: دار كرمل، 1986.

الجبهة الثالثة في الحرب وانعدام المعنى الأخلاقي

محمد خليفة*

■ أعلن الرئيس الأمريكي بوش أن حزب الله أصبح يشكّل جبهة عالمية ثالثة في الحرب على ما يسمى «الإرهاب». أي أنه ثالث جبهة بعد أفغانستان والعراق، هذا الإعلان يدوّي على نحو لم يسبق له مثيل في تاريخ العالم في صراحة جارحة واستعلاء، ويهدف إلى إضرام النار ولهب الفتنة بطعم الرماد ليشعل حطب التوتر من أج